

الحلقة الثامنة والسبعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تناولت مواضيع عديدة. فتكلمنا عن النتائج السلبية للكبرياء على حياتنا، مقابل النتائج الإيجابية للتواضع. وأن الأمان يأتي من الإتكال على الرب وليس من البشر. وأنه علينا أن لا نسرع في كلامنا، لأن ذلك سيوقعنا في مآزق عديدة.

صديقي المستمع، ننقل اليوم إلى الأمثال التي كتبها أجور ابن متقيّة مسّا، وهي تشمل أصحاباً كاملاً من سفر الأمثال وهو الأصحاب الثلاثون. وأجور هو من قبيلة مسّا العربية، التي كانت تنحدر من إسماعيل ابن إبراهيم الخليل من جاريته هاجر. وقد اشتهرت هذه القبيلة العربية بحكمتها. ونلاحظ من بداية الأصحاب الثلاثين أن أجور وجّه أمثاله إلى تلميذه ايثيئيل وأكال. وقد ضمّها سليمان الحكيم إلى سفر الأمثال. كما سبق له أن وضع أمثالاً متفرقة لحكماء آخرين، كنا قد أتينا على ذكرها أثناء دراستنا.

يعترف أجور في البداية بجهله المطلق عن الله، الذي يتوق لمعرفة. فكتب قائلاً: "إني أبلد من كل إنسان وليس لي فهم إنسان. ولم أتعلّم الحكمة ولم أعرف معرفة القدوس." أو بحسب الترجمة التفسيرية "لا أملك معرفة القدوس." (أمثال ٣٠: ٣ و ٣٠: ٣) إن الله بسبب طبيعته غير المحدودة، من الصعب إدراك معرفته بشكل كامل وصحيح. إذا كان الأمر هكذا في أيامنا الحالية، فمن البديهي أن يكون الوضع أكثر صعوبة، بالنسبة للناس الذين عاشوا قبل مجيء المخلص المسيح، وإعلانه عن حقيقة صفات الله ومحبهه لجنسنا البشري. ويعترف أجور أن الله هو مصدر الحكمة الحقّة التي يسعى لمعرفة من خلاله. ألا تتساءل مستمعي أنت أيضاً عن طبيعة الله وصفاته؟ أو لا تتوق لكي تعرفه بشكل أفضل؟ لقد أعلن الله عن نفسه من خلال المخلص المسيح، وهكذا أصبح بإمكانك معرفته وإقامة علاقة روحية معه.

وتساءل أجور عن الشخص الذي استطاع أن يعرف الله، وبإمكانه أن يخبرنا عنه فقال: "من صعد إلى السموات ونزل؟ (أمثال ٣٠: ٤) أي من هو الإنسان الذي صعد إلى السموات ونزل، لكي يخبرنا عن حقيقة صفات الله وطبيعته. وكأنه بذلك يتحدّى الذين يدعون معرفة الله. لقد صعد قديماً كل من أخوخ والنبي إيليا إلى السماء، لكنهما لم يعودا ليخبرانا ماذا وجدا عن الله.

لكن المخلص المسيح أجاب أجور عن تساؤله هذا، عندما قال لنيقوديموس معلّم اليهود: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء. ابن الإنسان الذي هو في السماء." (بشارة يوحنا ٣: ١٣) أي أن المخلص المسيح هو الوحيد الذي استطاع أن يخبرنا عن حقيقة صفات الله وطبيعته. لأنه قد أتى من عند الله ونزل من السماء، وصار إنساناً مثلنا. إن المسيح هو كلمة الله الأزلي الذي تجسّد وأعلن لنا حقيقة الله.

ولهذا كتب عنه البشير يوحنا قائلاً: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً... الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الكائن مع الله الآب، هو الذي يستطيع أن يخبرنا عن حقيقة الله. ولهذا ذكرنا قبل قليل أن معرفة الله أصبحت ممكنة من خلال المخلص المسيح. فعندما يؤمن الإنسان بهذا المخلص الفريد العجيب، يدرك محبة الله الفائقة نحوه، ويعرف الله حق المعرفة. وليس هذا فحسب بل تكون له علاقة روحية حية معه. فهل تود مستمعي أن تحصل على هذا الامتياز العظيم؟

وأمام تأمله عظمة قوات الطبيعة الفائقة، وقف أجور مدهوشاً أمام الله الخالق القدير الذي خلق هذا الكون العظيم فكتبت فتساءل قائلاً: "مَنْ جمع الرِّيح في حَفَنَتِيهِ؟ مَنْ صرَّ المِياه في ثوبٍ؟ مَنْ ثبَّت جميع أطراف الأرض؟ (أمثال ٣٠: ٤ب) لقد كانت الرياح من العوامل الخفية المدهشة التي لم يدرك كنهها الناس الأولون. وكذلك المحيطات الضخمة والبحار الواسعة المليئة بالمياه، التي لا يستطيع أحد سبر غورها أو جمعها. والأرض نفسها شاسعة ومترامية الأطراف، ولا أحد يقدر على تحديدها.

ويعود أجور ليتساءل مرة أخرى عن الشخص الذي استطاع أن يصعد إلى السموات وينزل، لكي يخبرنا عن حقيقة الله. فتساءل قائلاً: "ما اسمه؟ وما اسم ابنه؟ إن عرفت." (أمثال ٣٠: ٤ج) وكأنه يقول: لا يوجد مثل هكذا شخص، فإن وجدته أخبرني عن اسمه واسم ابنه. لكن كما ذكرنا قبل قليل إن المخلص المسيح هو الوحيد الذي كان في السماء ونزل، والذي استطاع أن يخبرنا عن حقيقة الله وصفاته. وهو الذي قال عن نفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه." (بشارة يوحنا ١٤: ٦ و٧)

إن المخلص المسيح إذن هو الطريق الذي يوصلنا إلى معرفة الله الحقّة. وهو الحق الذي يعلن الله، ومنه ننال الحياة. وعندما نؤمن به نستطيع أن نعرف الله حق المعرفة. لأننا عندما نعرف المسيح نعرف الله الآب. ولنلاحظ قول المخلص المسيح أن ليس

أحد يستطيع أن يأتي إلى الله الآب إلا من خلاله. فهناك الكثيرون ممن يحاولون أن يعرفوا الله بوسائل عديدة، كالأعمال الحسنة وتأدية الفرائض والواجبات الدينية، أو من خلال بعض الأنبياء، لكنهم لم ولن يستطيعوا الوصول إلى الله أو معرفته.

هل تعلم مستمعي لماذا المسيح هو الوحيد الذي نصل من خلاله إلى الله ونحظى بمعرفته؟ والجواب لأن المسيح هو الوحيد الذي مات على الصليب لكي يكفّر عن ذنوبنا، ثم قام من بين الأموات غالباً منتصراً. وهكذا إن كل من يؤمن به يغفر الله خطاياهم ويجعله خليفة جديدة.

ألا تتوق مستمعي لمعرفة الله؟ أو لا تود أن تحظى بالوصول إليه؟ لقد فتح المخلص المسيح الطريق أمام البشر جميعاً. وما عليك إلا أن تؤمن به لكي تصل إلى الله وتعرفه حق المعرفة. فهل تتوب عن خطاياك وتؤمن بهذا المخلص الفريد؟